حكايات من البيت القديم..

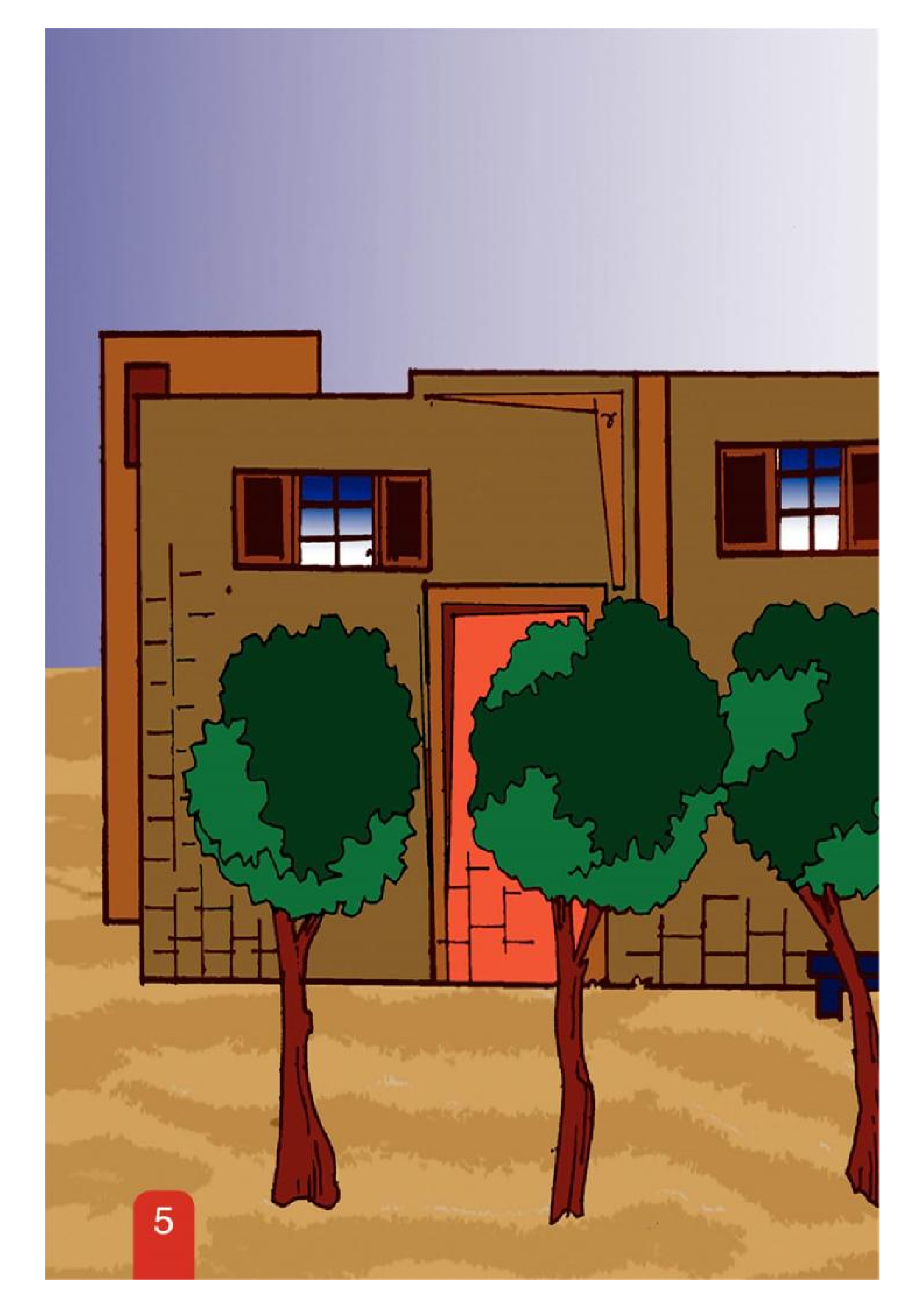
حصة العوضي

البيتُ المسكونُ



حكايات للأطفال من التراث الخليجي

يعيشُ «حمود» و«عمر» في بيتَيْنِ متجاورَيْنِ.. لكنَّهُما.. يذهبانِ كلَّ صباحٍ إلى بيتِ المطوِّعِ معًا.. ويعودانِ معًا.. وفي طريقِهِما يمُرّان ببيتٍ مهجورٍ لا يسكنُهُ أحَدٌ.. ولأنّه بيتٌ قديمٌ جدًّا.. وغريبٌ جدًّا.. فقَدْ أسماهُ السكانُ ببيتِ الرعبِ.. والبيتِ المسكونِ.. ولم يَكُنْ مسموحًا لأحَدٍ الدخولُ إليهِ أو الاقترابُ منه.. وخصوصًا الصغارَ.. خوفًا علَيْهِم من تِلكَ الحكاياتِ الغريبةِ التي تدورُ حَوْلَ البيتِ..





في ذلكَ اليومِ التَقى «عمر» صديقَهُ «حمود»
كالعادةِ في بيتِ الملّا حيثُ يدْرُسانِ هناكَ
معًا.. الحروفَ الأبجديةَ العربيةَ.. وقراءةَ
القرآنِ الكريم..وكانَ «عمر» شغوفًا بمعرفةِ
كلِّ شيءٍ جديدٍ عن كلِّ ما يدورُ حولَه..



لذا حينَ أصبحَ هو و«حمود» وحدَهُما في الطريقِ.. تَوَجَّهَ لصديقِهِ بالسؤالِ:

عمر: هل تعرفُ شيئًا عن هذا البيتِ..؟؟

حمود: هناكَ حكاياتٌ كثيرةٌ تدورُ حولَه.. يقولونَ إنَّها حكاياتٌ مخيفةٌ جدًّا..

عمر: وهل تخافُ أنتَ من الحكاياتِ..؟؟

حمود: بالطبعِ لا.. إنَّها مجرَّدُ حكاياتٍ لا أكثَر..

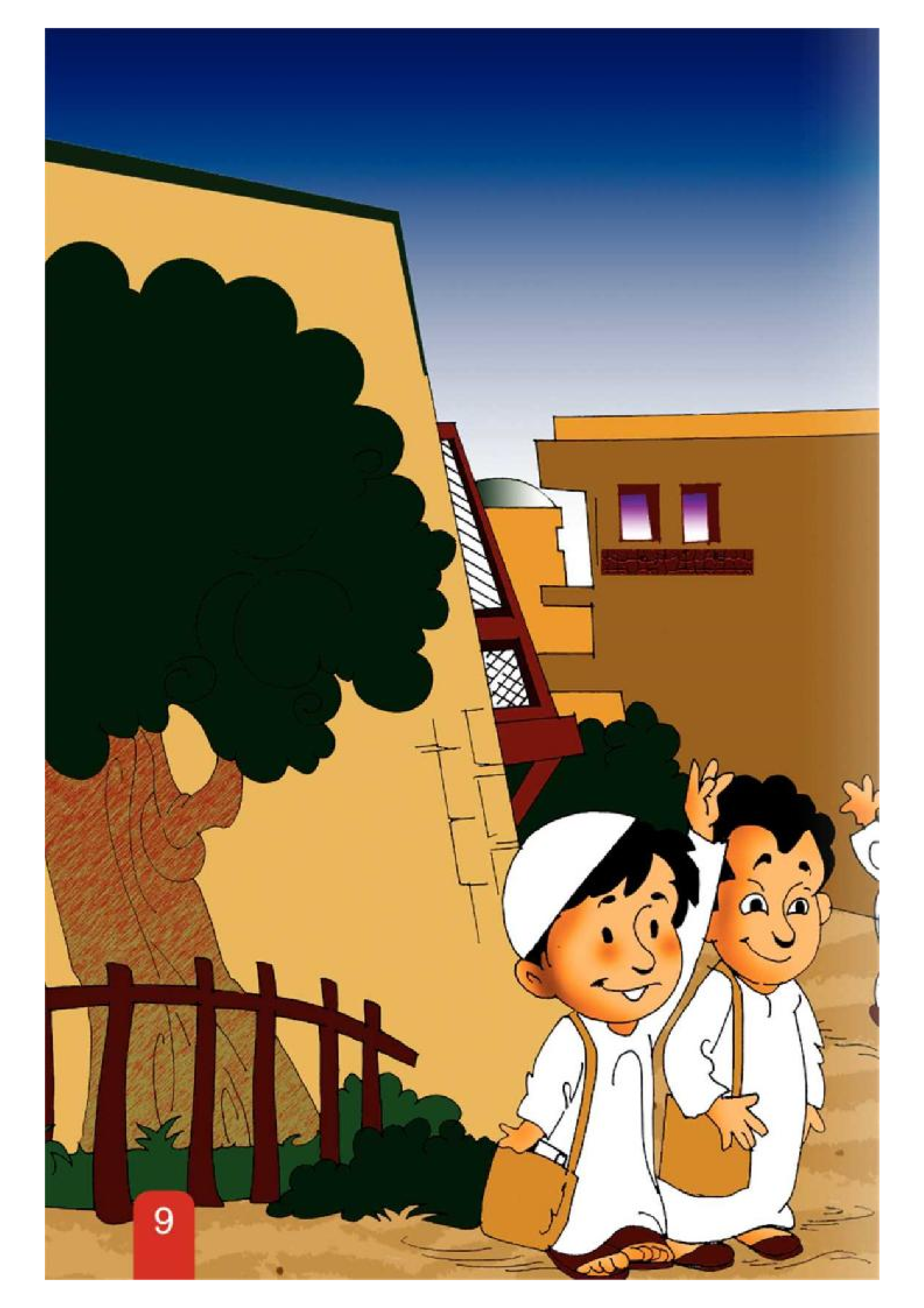
عمر: ربَّما يكونُ بعضُها حقيقيًّا يا صديقي.. فَنَحْنُ لا نعرِفُ كلَّ شيءٍ..

حمود: وما يُدريكَ أنتَ..؟؟

عمر: هل تريدُ أن نتأكدَ من ذلكَ..؟؟

حمود: كيف..؟؟

عمر: ما رأيُكَ أن ندخلَ البيتَ بعدَ أن نخرُجَ من بيتِ الملّا؟



حمود: لا.. لا يُمكِنُني.. فأبي مَنَعَني من الدّخولِ
إلى هناك..

عمر: بل قُلْ إنكَ خائفٌ وجبانٌ..

حمود: لا.. لستُ خائفًا..
ولكِنْ..

عمر: إذًا اتفَقْنا..
سنخرُجُ من بيتِ
الملّا إلى البيتِ
المسكونِ يا
صديقي.. ما
رأيُكَ..؟؟

وعلى الرّغمِ
من التحذيراتِ
الكثيرةِ من الآباءِ
والأمهاتِ بعدَمِ دخولِ



البيتِ المهجورِ.. إلّا إنّ حبَّ الفضولِ والمغامرةِ يدفَعُ الصغارَ إلى تجاهُلِ نصائحِ الكبارِ.. وهذا ما قرَّرَهُ «حمود» و«عمر» ذلكَ النهار..

ولم يَطُلِ انتظارُهُما.. فقَدْ أعلَنَ الملّا نهايةَ وقتِ الدروسِ اليوميةِ.. وسمَحَ للجميعِ بالمغادرةِ إلى بيوتِهِم.. فهذا هو وقتُ تناوُلِ وَجْبَةِ الغداءِ.. لدى الأهلِ هُناكَ..

كانَ «عمر» متحمسًا جدًّا للدخولِ في مغامرتِهِ الجديدةِ مع «حمود».. لذلكَ فقَدْ أسرَعَ نحوَهُ قَبْلَ خروجِهِ.. وهو يشجِّعُهُ على المُضِيِّ قُدُمًا لتنفيذِ ما يَنْويانِ القيامَ بِهِ منذُ الصباحِ الباكرِ.. قَبْلَ أن يشعُرَ أحَدٌ بغيابِهِما.. لذا كانَ «عمر»



أوَّلَ مَن ذَكَّرَ الآخَر بالخطَّةِ المرفوضةِ من قِبَلِ كلِّ الآباءِ والأُمهاتِ أيضًا.. فقالَ له:

عمر: هيَّا يا «حمود».. ماذا تَنتظِرُ..؟؟

حمود: لا شيءَ.. لا شيءَ..

عمر: هل أنتَ جاهزٌ للمغامرةِ الكبيرةِ.. أم ما زِلَتَ خائفًا..؟؟

حمود: أنا لسْتُ خائفًا من البيتِ.. لكنّني لا أريدُ أن أعصِيَ أوامرَ أبي..

عمر: هيَّا بِنا إذًا.. لن يُخبِرَ أحَدٌ أباكَ بما سيحصلُ.. هيَّا لنَبدَأَ رحلتَنا ومغامرتَنا الجديدةَ والمثيرةَ..

حمود: .. ألا يجبُ أن نستأذنَ الكبارَ..!!

عمر: لا شكَّ في أنكَ تمزحُ.. الكبارُ لن يسمحوا لنا بالدخولِ إلى البيتِ.. هيّا تشجَّعْ ولا تَخَفْ.. هيّا معَكَ بطلُ الأبطالِ «عمر».. هيّا يا صديقي..

حمود: ولكِنْ ماذا لو.......



عمر: ماذا لو ماذا..؟؟ هل تصدِّقُ أنّ البيتَ مسكونٌ بالجانِّ والعفاريتِ كما يقولونَ..؟؟

حمود: عمر.. أ.. أنا..

عمر: هيّا يا صديقي.. ها قد وَصَلْنا.. هيّا لندخُلَ.. فلن يعرِفَ أحَدٌ أيَّ شيءٍ عن دخولِنا أبدًا.. أعِدُكَ..

ويسيرانِ باتِّجاهِ ذلكَ البيتِ المهجورِ.. وهُما يلتفتانِ خلفَهُما خوفًا من لحاقِ أحَدِ الصبيانِ بِهِما..

اقتربَ الصغيرانِ من البابِ.. أحدُهُما كان خائفًا.. والآخَرُ كانَ يدَّعي الشجاعةَ.. إنَّهُما الآنَ أمامَ البابِ الكبيرِ المتهالكِ وجهًا لوَجْهٍ.. وها هو «عمر» يدفَعُ البابَ بيدِهِ مستعدًّا للدخولِ إلى المجهولِ..

تُرى ماذا يوجدُ خلفَ بابِ البيتِ المهجورِ..؟؟

ما إنْ دَفَعَ «عمر» البابَ حتّى أصدَرَ صريرًا قويًّا ممّا دَفَعَ «حمود» للتراجُعِ إلى الخلفِ.. إلّا إنّ



«عمر» جَذَبَهُ من يدِهِ بِسرعةٍ.. وأدخَلَهُ معَهُ.. ثُمَّ اقترَبَ مِنهُ هامِسًا:

عمر: أغلِقِ البابَ خلفَكَ حتّى لا يَراهُ أحَدٌ مفتوحًا..

حمود: بِسْمِ اللهِ الرحمَٰنِ الرَّحيمِ..

عمر: كفاكَ خوفًا أيها الفَتى.. وكُنْ شجاعًا مِثلي..

حمود: أرجوكَ يا «عمر».. دَعْنا نَخْرُجْ..

عمر: نَحْنُ لم نَرَ شيئًا حتّى الآنَ.. هيَّا تقدَّمْ.. تَعالَ.. سأُمسِكُ يَدَكَ تَعالَ..

حمود: المكانُ مظلِمٌ يا «عمر».. دَعْنا نَخرجْ باللهِ عليكَ..

عمر: سأدخُلُ وحْدي.. يَكفي أنَّكَ جبانٌ..

تركَ «عمر» يَدَ «حمود» الخائفِ.. وتقدَّمَ وحدَه من دونِ مُراعاةٍ لكلِّ الأغصانِ القديمةِ الملقاةِ على الأرضِ.. والتي تُشكِّلُ حواجِزَ كثيرةً.. تمنعُ «عمر» وغيرَهُ من التقدُّمِ خطواتٍ أُخرى داخلَ



البيتِ.. لكنَّ «عمر» لم يبالِ.. وكانَ يريدُ أن يقنعَ «حمود» بأنّه قويٌّ.. وبأنه على حقٍّ.. ولكِنْ فجأةً.. تكسَّرتِ الأغصانُ القديمةُ تحتَ قدمَيْ «عمر».. الذي لم يشعرْ بنفسِهِ إلّا وهو يَهْوي في مكانٍ عميقٍ تحتِ الأغصانِ.. ولم يُمكنْهُ تِلكَ اللحظةَ إلا أن يُطلِقَ صرخةَ رُعْبٍ عاليةً.. كادَتْ تتسبَّبُ بِوقْفِ نبضاتِ قلبِ «حمود» الذي فوجئَ باختفاءِ صديقِهِ «عمر» من أمامِ ناظِرَيْهِ.. وهو يُناديه مستغيثًا....

عمر: آه.. آه.. حمود.. حمود.. سأقَعُ.. ساعِدْني..

حمود: عمر.. عمر.. أيـنَ أنـتَ.. يا إلهي.. ما هذا..؟؟

ثُمَّ اقتربَ «حمود» بحَذَرٍ شديدٍ.. باحثًا عن صديقِهِ الذي اختفَى.. ولم يَعُدْ يراهُ قطُّ.. صوتُهُ فَقَطْ كان يُدَوّي مع الصَّدى.. وكأنه وَقَعَ في مكانٍ عميقٍ وفارغٍ.. توقَّفَ «حمود» وهو ينظرُ إلى تلك الهُوّةِ



الكبيرةِ التي بها «عمر».. مُتسائلًا عن «عمر»..
حمود: يا إلهي.. إنّها بئرٌ.. بئرٌ قديمةٌ..
وحاوَلَ رَفْعَ صوتهِ الذي يمتزجُ مع الصدَى القادمِ من البئرِ.
حمود: عمر.. عمر.. هل تسمَعُني..؟؟ هل أنت بِخَيرٍ..؟؟
لكنّ «عُمر» لم يُجِبْ.. ثُمَّ عادَ «حمود» ليناديَه ثانيةً:
حمود: عمر.. عمر.. أرجوكَ.. أجِبْني..
ولكن مرةً أُخرى.. لم يُجِبْ «عمر»...
واعترى «حمود» الخوفُ والقلقُ.. فَهْوَ لا يعرفُ ماذا حدَثَ لصديقِه.. ولا يعرفُ كيفَ يتصرّفُ.. ولكِنْ في مِثْلِ هذا الموقفِ الصعبِ.. كان لا بُدَّ له من التفكيرِ بسرعةٍ.. فربَّما تكونُ حياتُهما في خطرٍ شديدٍ.. لذلكَ فكَّرَ «حمود» وبصوتٍ عالٍ.. قائلًا:
يا إلهي.. ماذا حدثَ لـ «عمر»..؟؟ أخشى أن يكونَ



قد أصابَهُ مكروهٌ.. لقَدْ سَقَطَ في البئرِ.. يجبُ أن أطلُبَ المساعدةَ من الآخرينَ قَبْلَ أن يصيبَهُ شيءٌ.. سأذهبُ حالًا.

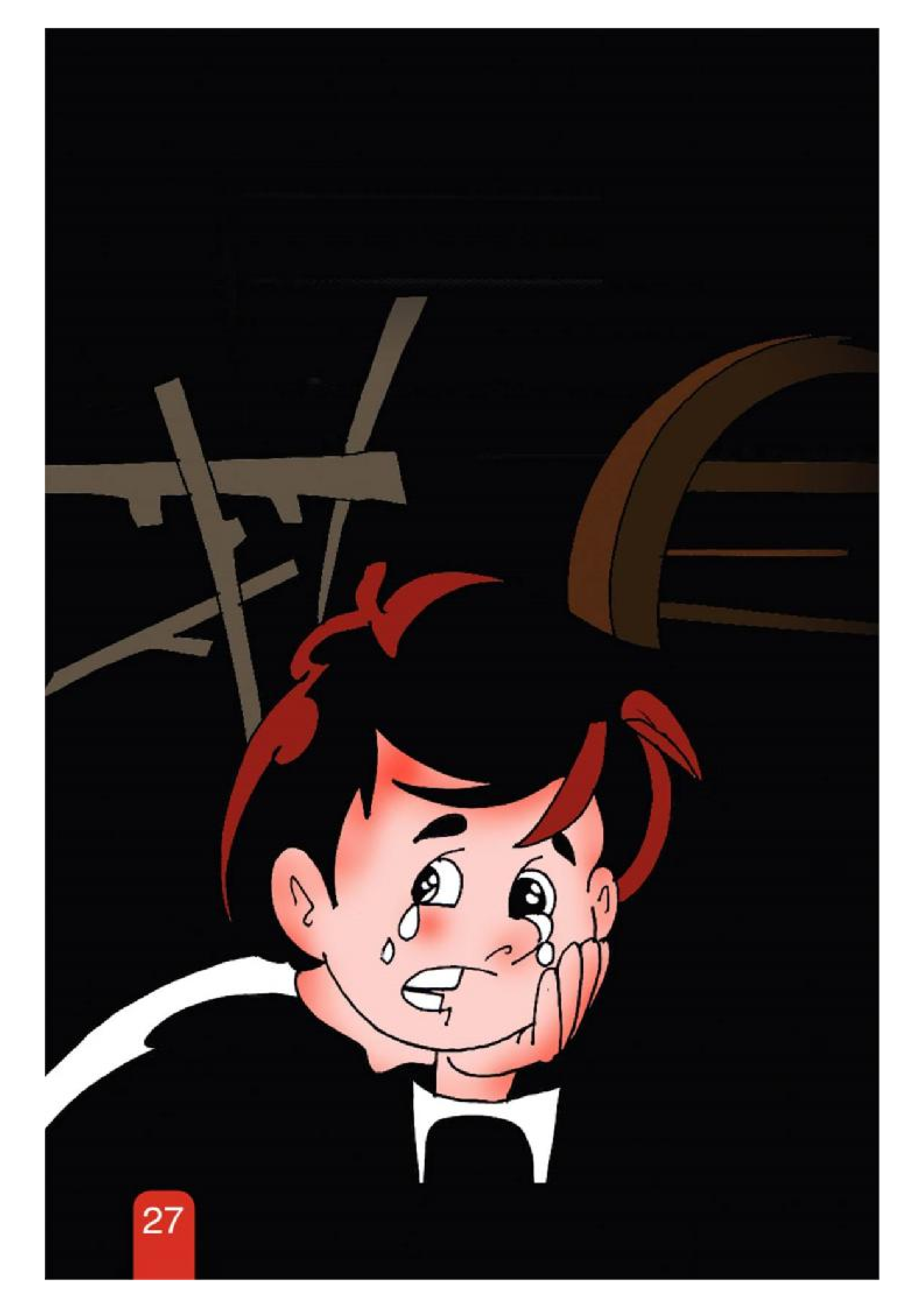
سارَ «حمود» بحذَرٍ شديدٍ وهو يقتربُ من البابِ، محاولًا معرفةَ البقعةِ التي يضعُ فيها قدَمَه.. خوفًا من وجودِ بئرٍ ثانيةٍ.. أو مفاجأةٍ مرعبةٍ أُخرى حتّى وصلَ إلى البابِ.. وبكِلتا يَدَيْهِ حاولَ فتحَ المزلاجِ الذي كانَ يغلقُ البابَ.. ولكن لا فائدةَ.. فالمزلاجُ لا يتحرَّكُ.. والبابُ لا يفتحُ.. حاولَ مرةً ومرةً ومرةً.. لكنَّ البابَ لم يتحرَّكْ نقطةً واحدةً.. وكأنّه قَدْ قرَّرَ معاقبةَ هذَيْنِ الولدَيْنِ لاقتِحامِهِما هذا البيتَ بِحَبسِهِما داخِلَهُ حتّى يقرِّرَ الإفراجَ عَنْهُما وحدَه.. لكنَّ «حمود» لم ييأسْ.. واستمرَّ يُحاولُ دَفْعَ البابِ مرةً.. ودَفْعَ المزلاجِ مرةً أُخرى.. ولكن من دونِ فائدةٍ.. حتّى استسلَمَ للخوفِ الذي أصبحَ يُغطّي



كل مشاعرِهِ.. وبدأتْ عيونُه تُذرفُ الدموعَ من دونِ إرادتهِ.. وهو يقولُ:

هيا افتَحْ.. ماذا حدَثَ لكَ.. أيها البابُ القديمُ..

يا إلهي.. إنه ثابتٌ لا يتحرَّكُ.. لقَدْ عَلِقَ البابُ.. وعَلِقْتُ أنا وعمر هُنا.. يا إلهي.. ساعِدْنا.. أرجوكَ يا إلهي.. أنقِذْ صديقي «عمر» وأخرِجْنا من هُنا.... لقد حَدَثَ ما لم يَكُنْ في الحسبانِ.. سقَطَ «عمر» في بئر قديمةٍ.. ولم يَعُدْ له صوتٌ.. وعَلِقَ البابُ القديمُ.. ولم يستطِعْ «حمود» الخروجَ لطَلَبِ النجدةِ.. فما الذي سيحدُثُ لَهُما وحدَهما في هذا البيتِ المهجورِ..؟؟ في تلك اللحظةِ وفي أحَدِ بيوتِ الحيِّ كانَ «أبو عمر» ينتظرُ عودةَ ابنهِ إلى البيتِ.. وكانَ يعرِفُ أن «عمر» يعودُ إلى البيتِ مباشرةً بعدَ خروجِه من بيتِ الملّا.. لكنَّ الوقتَ قد



تأخَّرَ هذا اليومَ.. وأوشَكَ المؤذِّنُ على النِّداءِ لصلاةِ العصرِ.. وهذا ما جعلَ الأبُ يقلقُ كثيرًا ويتساءلَ:

أبو عمر: ألم يرجِعْ «عمر» بعدُ من عِندَ الملّا..؟؟

الأُمّ: لا بدَّ من أنه في الطريق الآنَ..



الأب: إذا عادَ أرسليهِ إليّ، إلى الدكان.. أريده في بعض المشاوير..

الأم: إن شاء الله..

وعلى الرّغمِ من إحساسِهِ بالقلقِ نحوَ غيابِ ابنِه.. إلّا إنّ لدَيْهِ عملًا عليهِ أن يُنجِزَه.. لذا استأذنَ وخرجَ



من البيتِ وهو يَدعو اللهَ أن يعيدَ ابنَه إلى البيتِ بسرعةٍ سالمًا معافى.. وكذلكَ كانَتِ الأمُّ.. التي لم تحاوِلْ أن تُظهِرَ قلقَها ومخاوفَها أمامَ زَوْجِها.. والتي ما كان منها إلَّا أنِ انتظرَتْ خروجَه من البيتِ.. لترفَعَ عينَيْها نحوَ السماءِ قائلةً:

أعادَكَ اللهُ سالمًا يا بُنَيّ.. لا أدري لماذا أشعُرُ بالقلقِ.. هُناكَ أمرٌ ما ولا أعرفُ ما هو.. اللهُمَّ اجعَلْهُ خيرًا..

وبدأَ الوقتُ يمرُّ.. ولم يظهَرْ «حمود» ولا «عمر».. وبدأَ القلقُ يتسرَّبُ إلى النفوسِ المنتظرةِ على أحرٍّ من الجَمْرِ..

وهناكَ في البيتِ المجاوِرِ.. لبَيْتِ «عمر».. خرجَتْ طفلةٌ مسرعةٌ لتطرقَ بيَدِها الصغيرةِ على بابِ بيتِ «عمر» الذي فُتِحَ سريعًا من قِبَلِ الأُمِّ المنتظرةِ والمرعوبةِ.. حيثُ فوجِئَتْ بالصغيرةِ

تنظُرُ نحوَها بتساؤلٍ:

أُمُّ عمر: ماذا بكِ يا «مريم»..؟؟ هل تحتاجينَ شيئًا..؟؟

مريم: .. السلامُ عليكِ خالتي..

الأُمُّ: وعليكِ السلامُ يا «مريم».. خيرًا.. هل «عمر» عِندَكُم..؟؟

مريم: لا.. «عمر» ليسَ عِندَنا وكذا «حمود».. لم يَعُدْ حتّى الآنَ من عِندَ الملّا.. وقد أرسَلَتْني أُمّي لِلْبَحْثِ عنهُ عِندَكُم..

الأُمُّ: يا ربِّ استُرْ.. أينَ ذَهَبا..؟؟ ليس من عادَتِهِما التأَخُّرُ هكذا..

مريم: حسنًا يا خالتي إذا جاءكُم «حمود» فقولي لَهُ إننا ننتظِرُه.

الأم: إن شاءَ اللهُ يا «مريم».. إن شاءَ اللهُ..

غادرتِ الطفلةُ.. وظلَّتْ «أُمّ عمر» قلقةً.. وبدأَتْ تَبحَثُ حَوْلَها بتوتُّرٍ وقلقٍ واضحَيْن:

أينَ أنْتُما الآنَ..؟؟ يَجِبُ أن أبلِّغَ «أبا عمر» لِيبحثَ عنهما.. أينَ عَباءتي..؟؟

واشتدَّ قلقُ «أم عمر».. وكذا «أم حمود»..

فولداهُما غائبانِ.. ولا تعرفانِ عن مكانِهما شيئًا.. ذهَبَتْ «أمُّ عمر» إلى دكانِ زوجِها.. لتُخبِرَه عنِ اختفاءِ ابنِها وصديقِه «حمود».. وكذلكَ «أمُّ حمود» فعلتِ الشيءَ نفسَه.. واجتمعَ الرجلانِ في المِحنةِ نفسِها والمشكلةِ نفسِها.. وهُما يتباحثانِ حَوْلَ مكانِ الولدَيْنِ.



أبو عمر: أين تُراهُما ذَهَبا..؟؟

أبو حمود: فَلنبدَأْ بالبحثِ من أولِ الطريقِ.. من بيتِ الملّا.. ربَّما وقَعا في حفرةٍ أو ما شابَه..

أبو عمر: أعِدْهُما سالِمَيْنِ يا إلهي..

وبَدَأ الرَّجُلانِ البحثَ عن ولَدَيْهِما.. وها هُما يَلتقيانِ أحَدَ الجيرانِ:

الجارُ: السلامُ علَيكُما..

أبو عمر: وعليكَ السلامُ أيُّها الجارُ..

الجارُ: سَمِعْتُ أن ابْنَيْكُما مفقودانِ..

أبو حمود: إنّهما غائبانِ حتّى الآنَ..

الجارُ: إذًا ماذا تنتظرانِ.. هيَّا نبحثُ عنهُما قَبْلَ فواتِ الأوانِ .. هيّا ..

أبو عمر: توكَّلْنا على اللهِ...

سارَ الرِّجالُ الثلاثةُ.. وحَوْلَهُما يتجمَّعُ رِجالُ القريةِ من بيتٍ إلى آخَر.. في محاولةٍ جادَّةٍ للبحثِ عن

«عمر» و«حمود»..

وفي البيتِ المهجورِ.. كان «حمود» وحْدَه يُحاولُ البحثَ عن طريقةٍ للخروجِ.. وحين يئسَ من عَدَمِ وجودِ مَخرجٍ.. قرَّرَ أن يطلُبَ النجدةَ بأعلى صوتٍ... وأخَذَ يطرقُ على البابِ بكُلِّ قُوَّتِهِ.. ويُنادي بأعلى صوتِه:

أيها الناسُ.. أنقذونا.. نحنُ هُنا.. يا أهلَ



الخيرِ.. باللهِ علَيْكُم.. أنقذونا.. يا أهلَ الحَيِّ.. نحنُ هُنا.. أنا «حمود».. وصديقي «عمر» سقطَ في البئرِ.. أرجوكُم ساعدونا..

الوقتُ يَمرُّ.. والرِّجالُ كلٌّ منهم يبحثُ في مكانٍ.. ويتوقَّفُ عِندَ كلِّ حفرةٍ.. وكلِّ مكبٍّ قديم.. وكلِّ سفينةٍ محطمةٍ.. وكلِّ صندوقٍ مقلوبٍ.. وكلِّ جدارٍ مهدَّمٍ.. ولكِنْ لا شيءَ هُناك.. وكانوا يقتربونَ من البيتِ المهجورِ حينَ باتَ منظرُ كلِّ واحدٍ مِنْهُم.. ينمُّ عنِ اليأسِ والحُزنِ الشديدِ.. ولكِنْ فجأةً.. يتوقَّفُ «أبو حمود» ويقولُ للآخَرينَ:

انتَظِروا.. هل تسمعونَ شيئًا..؟؟

من بعيدٍ.. كان صوتُ «حمود» يعبُرُ جدرانَ البيتِ المهجورِ.. ويتسرَّبُ من بابِهِ الكبيرِ.. ليَصِلَ إلى آذانِ الرِّجالِ الذينَ وقفوا يحاولونَ تتبُّعَ مصدَرِ ذلكَ الصوتِ البعيدِ..

حمود: أنقذونا.. نحنُ هُنا..

الجارُ: الصوتُ قادِمٌ من هناكَ.. تعالَوْا معي..

أبو عمر: يا الله إنه قادِمٌ من البيتِ المسكونِ..

أبو حمود: بسرعةٍ.. لا بدَّ من أن الولدَيْنِ في خَطَرٍ..

ويستمرُّ «حمود» في الخَبْطِ والنداءِ.. آملًا في أن يمرَّ أحَدٌ ما بهذا المكانِ.. فيسمَعَ استغاثَتَهُ.. وبالفعلِ.. فَقَدْ حقَّقَ اللهُ له أمنيتَهُ واستجابَ لندائهِ..



حينَ سمِعَهُ الرِّجالُ الذينَ خَرجوا يبحثونَ عَنْهُما...

وفي لهفةِ الشوقِ والفرحِ.. جرى «أبو حمود» نحوَ البابِ وسمعَ صوتَ ابنهِ الباكي:

حمود: أنقذونا..

أبو حمود: حمود.. هل أنتَ هُنا..؟؟

حمود: أبي.. أبي.. أنقِذْنا.. «عمر» سقطَ في البئر..

أبو عمر: ولدي.. هيّا.. ادفعوا.. يا ربّ..



واجتمعَ الرِّجالُ.. وتكاتفَت الأيـادي.. ودفَعَتْ بكلِّ قوَّتِها البابَ القديمَ.. ليَجِدوا «حمود» وقد تبلَّلتْ ثيابُه من الدموعِ الغزيرةِ.. لكنَّه ما إن رأى والدَهُ.. حتَّى ألقى نفسَه في حُضنِهِ يبكي من الفَرَحِ..

حمود: (بفرَحٍ) أبي.. أبي.. بسرعةٍ.. هيَّا لنُخرِجَ «عمر».. بسرعة..

وبتعاونِ الجميعِ.. تمَّ إخـراجُ «عمر» من البئرِ



القديمةِ.. وكانَ مصابًا في عدّةِ أماكِنَ من جَسَدِه.. وسعدَ جميعُ مَن في القريةِ لعودَتِهِما سالِمَيْن.. لكنَّ ذلكَ كانَ درسًا مهمًّا لـ «عمر» و«حمود».. وهو أن يستَمِعا إلى كلامِ الكبارِ ويُنفِّذوا أوامرَهُم.. وألا يَرتَكِبا مثلَ هذا الخطأ مرةً أُخرى...

مع تحيات حصة العوضي

